

الصهيونية ، وما هي عناصره ؟ في كتاب الراهب لا نعثر على اجابة محددة على تساؤلنا . هنا تأتي ملاحظتنا الثانية على الفصول الاخرى من الكتاب ، حيث يحرص النموذج الإسرائيلي بروايات دايان (لسبب منهجي طبعا ، باعتبارها تكتب بالانكليزية) . لكن من اجل ايضاح اكبر لهذا الموضوع كان لا بد من عقد مقارنات مع روايتين اسرائيليين آخرين . ولو ادى هذا الى خلطة جزئية للمعادلة المنهجية — شكلا — من اجل الوصول الى صورة اكثر وضوحا ، والى احكام اكثر شمولية ودقة .

رغم هاتين الملاحظتين ، يبقى كتاب « الشخصية الصهيونية في الرواية الانكليزية » ، عملا نقديا بالغ الاهمية ، ليس فقط لانه يقدم لنا دراسة في ميدان لا يزال مغلقا ، ولكن لانه يؤشر الى قدرة النقد التحليلي الذي ينطلق من علاقات الشخصيات في الرواية ، على الكشف عن حقل واسع من العلاقات . فالنقد هو اساسا تعامل مع النص انطلاقا منه . فالموضوعية المحددة التي انطلق منها الكتاب لم تحجب ضرورات النقد الاساسية ، ولم تورطه في تعامل ايديولوجي دعائي . بل بقي النقد ممارسة ايديولوجية تكشف وتؤكد وتتمذج .

عقد المقارنات والدراسة السوسولوجية السياسية الاولية واضفاء طابع موحد تسلسلي من خلال التقاط نقاط ارتباطه الاساسية . بين طرفي هذه المعادلة تتحدد الرؤية النقدية التي تضبط الكتاب بانسه ، وتجعله سياتا موحدا في سبيل الاطلال على ناحية بالغة الاهمية وشبه مهملة في الكتابات الفلسطينية .

المستوى الايديولوجي . يحاول الكتاب ، في منهجيته ربط مستويات التحليل المختلفة . لكن ملاحظتنا الاولى تأتي على الطابع الاكاديمي الصارم الذي منع ربط تطور النظرة الى الشخصية الصهيونية في الرواية مع تطور الايديولوجية السائدة في اوروبا . ومع تطور الايديولوجيا الصهيونية . فرغم محاولة الكتاب في بعض الاحيان اكتشاف هذه العلاقة ، فانها بقيت شبه مهملة ، ولم يجر تركيبها بشكل متداخل . ربما كان هذا الغياب يعود في المقابل الى تصور نقدي محدد . لكن غياب المقدمة المنهجية يبقيني هذه النقطة معلقة . تكتسب هذه المسألة اهمية بالغة في النموذج الاخرى ، حيث تصبح الحاجة ماسة اليها . فهل تعبسر روايات دايان عن منحى عام في الايديولوجيا

رياح

عز الدين القسام

« عيني ابعث من هذي التعاسات

نبيا

بين عينيه البشارة » .

في مجموعته الشعرية الثالثة : رياح عز الدين القسام . يخفت الصوت النبوي وترتفع المأساة ، لكن الفجيمة التي تحترق داخل نار ايلول والاحراش لا تزال اولية ، بالغة السخونة . لذلك يأتي الشعر ليسلبها لا ليضيف اليها . فاللغة الشعرية هي حيز بنائي يوتر اللحظات داخله . اي انه ليس صدى ، بل هي اللحظات المتوترة في داخله اصداء قدرته على الصور والتشكيل . لذلك لا تأتي القصيدة تنويعا على الواقع — بالمعنى المباشر للكلمة — بل يأتي لون الواقع كخلفية للوصول الى مصطلح متكامل . هكذا يصبح الانفعال عنصرا ، ولا يعود مركز القصيدة ، لكننا هنا ، امام نجاعة

كيف تأتي البشارة ، بعد الوعد بها ؟ . في مجموعته الشعرية السابقة خماسية الموت والحياة ، حمل محمد القيسي الصوت الشعري على ايقاع الممارسة المباشرة . وقف بين لحظة الشعر ولحظة الموت يقرب البدايات ، يدخل المعاناة الشعرية كصوت محمول على مرجعه النضالي . حمل « قبر الثورة » مع الفقراء ، وسقط وجهه بين التعاسات معلنا بشاراة الولادة . لذلك كان لهجته طعما رومانسيا بطيئا ، ينتقل بين اللحظات ، دون ان يوحدنا . يبشر ولا ينفجر . وعندما تصل بشارته لحظة توهج ، يرفع الشعر الى تخوم الوعد بالنبوءة :

* محمد القيسي : رياح عز الدين القسام ، منشورات وزارة الاعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٧٤ ، ديوان الشعر العربي الحديث (٤٢) .